أم الأحنف بن قيس

من بنى باهلة ، وكانت من فواضل نساء العرب فى عصرها

ولدت مولودًا فى السنة الثالثة قبل الهجرة غربى اليمامة من أراضى نجد

ولد الضحاك يتيما حيث قتل أبوه وهو طفل لم يدر ـ لم يمش ـ بعد

ما لبث أن سماه الناس الأحنف لاعوجاج فى رجليه ، ثم غلب اللقب على الاسم ولدته أمه وهو أحنف فقالت وهى ترضعه :

والله لولا حنف فى رجليه ما كان فى الحى غلاما مثله

وقيل :

كانت ترقص الأحنف وهو صغير وتقول :

والله لولا ضعفه من هزله وحنف ودقة فى رجليه

ما كان فى فتيانكم من مثله

الحنف : فى القدمين وهو إقبال كل واحدة منه على الأخرى بابهامها

وقيل :

الاعوجاج فى الرجل

أما الأحنف : الذى يسير ويمشى على ظهر قدميه من شقها الذى يلى خنصرها

* إسلامها

بعث خاتم الأنبياء ﷺ رجلا من أصحابه إلى غربى اليمامة قبل وفاته بسنوات قليلة يدعوهم إلى الإسلام ، فاجتمع برهط ـ قوم وجماعة ـ الأحنف بن قيس ، فقرأ عليهم القرآن ودعاهم إلى الإسلام

ولكن القوم سكتوا ونظر بعضهم إلى بعض ، فبادرهم الأحنف وكان شابا فقال :

ـ يا قوم : ما لى أراكم مترددين تقدمون رجلا وتأخرون أخرى ؟ والله إن هذا الوفد خير ، إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق وينهاكم عـن ملائمها ـ ما لا يجـوز منهـا ـ، والله ما سمعنا منه إلا حسنا ، فأجيبوا داعى الخير والهدى تفوزوا بخيرى الدارين ـ الدنيا والآخرة ـ

فأسلم القوم ومعهم الأحنف بن قيس ، فلما أخبر أمـه بإسلامه نطقت بشهادة الحق

ووفد كبار القوم على المبعوث للناس كافة ﷺ غير أن الأحنف لم يفد معهم لحداثة سنه

فحرم الأحنف بن قيس من شرف الصحبة ، ولكنه لم يحرم من رضى ودعاء الذى لا ينطق عن الهوى ﷺ فقد أخبر سفير رسول الله ﷺ النبى الخاتم ﷺ بمقولة الأحنف بن قيس فقال :

ـ اللهم اغفر للأحنف

* كنيته

يكنى أبا بحر

* الأحنف بن قيس ومسيلمة الكذاب

تقول أم الأحنف :

لما انتقل خاتم الأنبياء ﷺ إلى الرفيق الأعلى ارتدت كثير من قبائل العرب وادعى مسيلمة الكذاب النبوة وتبعه بنو حنيفة ، وارتدت بنو أسد وتنبأ طليحة بن خويلد الأسدى ، وتنبأ الأسود العنسى. مضى الأحنف بن قيس مع عمه المتشمس بن معاوية إلى اليمامة فجاءا رحمن اليمامة ليلقياه ويسمعا منه فادعى مسيلمة بن حبيب أن قرآنا قد أنزل عليه كقرآن محمد .

فقال الأحنف :

ـ هات ما عندك

فقال رحمن اليمامة :

ـ هل تدرى لم حبستك ؟ إن رسول الله ﷺ خوفنا كل منافق عليم ولست منهم إن شاء الله

لقد أدرك الفاروق بثاقب نظره ما توافر لأبى بحر من حدة الذكاء وسمو النفس وعلو الهمة فأراد أن يبقيه قريبا من ليتعهده ويوجهه ويصنعه على عينه

وبعد أن انقضى الحول قال أمير المؤمنين عمر للأحنف :

ـ يا أحنف : لقد بلوتك وخبرتك فلم أر إلا خيرا ، ورأيت عملا نيتك حسنة وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك، فإنا كنا نتحدث إنما هلك هذه الأمة كل منافق عليم .

ثم وجهه الفاروق لحرب الفرس وكتب لأبى موسى الأشعرى :

أما بعد

فأدن ـ قرب ـ الأحنف بن قيس منك وشاوره واسمع منه

* الهرمزان فى مدينة رسول الله ﷺ أسيرا

تقول أم الأحنف :

أبلى أبو بحر بلاء حسنا وضروبا من البطولات ما جعل نجمه يتألق حتى فتح الله على يديه وأيدى بنى تميم تستر درة التاج الكسروى وأوقع الهرمزان فى الأسر .

وكان الهرمزان من أشد قواد الفرس بأسا وأقوى أمرائهم شكيمة ـ أنفة ـ وأوسعهم مكيدة فى الحروب وصحب أبو بحر وأنس بن مالك الهرموزان إلى المدينة ليبشرا الفاروق بالفتح

فلما وصلوا مدينة رسول الله ﷺ ألبس الأحنف بن قيس الهرمزان كسوته من الديباج المنسوج بالذهب كما ألبسه تاجه المكلل بالياقوت كى يراه أمير المؤمنين على هيئته فلما رآه الفاروق قال :

ـ الهرمزان ؟

قالوا :

ـ نعم يا أمير المؤمنين

فعاد أبو حفص يتأمله ويتأمل ما عليه من ثياب ثم قال :

ـ أعوذ بالله من النار وأستعين بالله ، والحمد لله الذى أذل بالإسلام هذا وأشياعه

ثم نظر أمير المؤمنين عمر حوله وقال :

ـ يا معشر المسلمين : تمسكوا بهذا الدين واهتدوا بهدى نبيكم ولا تبطرنكم الدنيا فإنها غرارة ثم أمر الفاروق أن يخلع ما على الهرمزان من حلية ، وألبس ثوبا عاديا

ثم سأل أبو حفص الهرمزان :

ـ وما عذرك وما حجتك فى انتقاضك ـ نقض الصلح مرة بعد مرة ـ ؟

فقال الهرمزان :

ـ أخاف أن تقتلنى قبل أن أخبرك

فقال الفاروق :

ـ لا تخف ذلك

وطلب الهرمزان قدحا من ماء ، فأتى بماء فى قدح ، فلما أمسك به كانت يده ترتجف فقال :

ـ أخاف أن أقتل وأنا أشرب الماء

فقال أمير المؤمنين عمر :

ـ لا بأس عليك حتى تشربه

فأكفأ الهرمزان قدح الماء على الأرض ولم يشربه ، فقال الفاروق :

ـ أعيدوا عليه ولا تجمعوا عليه القتل والعطش

فقال الهرمزان :

ـ لا حاجة لى فى الماء ، إنما أردت أن أستأمن به

قال أمير المؤمنين عمر :

ـ إنى قاتلك

قال الهرمزان :

ـ لقد أمنتنى

فقال الفاروق :

ـ كذبت

قال أنس بن مالك :

ـ صدق يا أمير المؤمنين قد أمنته

فقال أبو حفص :

ـ ويحك يا أنس أنا أمن قاتل مجزأة ـ مجزأة بن ثور ـ والبراء - البراء بن مالك أخو أنس ـ ؟ والله لتأتين بمخرج أو لأعاقبنك

فقال خادم رسول الله ﷺ :

ـ قلت له : لا بأس عليك حتى تخبرنى ، وقلت : لا بأس عليك حتى تشربه

وقال الأحنف بن قيس :

مثل ذلك

فأقبل الفاروق على الهرمزان وقال له :

ـ خدعتنى والله لا أنخدع إلا لمسلم

فقال الهرمزان:

ـ وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله

فلما أسلم الهرمزان ونطق بشهادة الحق فرض له أمير المؤمنين عمر ألفى درهم

وأنزله المدينة

* الأحنف بن قيس يبايع على بن أبى طالب

لقى أبو بحر طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وأم المؤمنين عائشة بمدينة رسول الله ﷺ وهو يريد السير إلى مكة للحج وكان أمير المؤمنين عثمان بن عفان محصورا فقال أبو بحر لكل منهم :

ـ إن الرجل مقتول فمن تأمروننى أبايع؟

فقال طلحة والزبير وبنت أبى بكر :

ـ بايع عليا

فقال لهم الأحنف بن قيس :

ـ أترضونه ؟

قالوا :

ـ نعم

يقول الأحنف بن قيس :

فلما قضيت حجى ورجعت إلى المدينة رأيت عثمان قد قتل فبايعت عليا ، ورجعت إلى أهلى ورأيت الأمر قد استقام

وبينما أنا كذلك إذ أتانى آت فقال :

ـ هذه عائشة وطلحة والزبير بالخريبة يدعونك

فقلت :

ـ ما جاء بهم ؟

قال :

ـ يستنصرونك على قتال على فى دم عثمان

obeikandl.com

فأتانى أفظع أمر ، فقلت :

ـ إن خذلانى أم المؤمنين وحوارى رسول الله ﷺ ـ يعنى الزبير ـ لشديد ، وإن قتال ابن عم رسول الله ﷺ وقد أمرونى ببيعته أشد فلما أتيتهم قالوا :

ـ جئنا كذا وكذا

فقلت :

ـ يا أم المؤمنين : ويا زبير : ويا طلحة : نشدتكم الله أقلت لكم : من تأمروننى أبايع ؟ فقلتم :

بايع عليا ؟

قالوا :

ـ نعم ولكنه بدل وغير

قلت :

ـ والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ولا أقاتل ابن عم رسول الله ﷺ وقد أمرتونى ببيعته ، ولكنى أعتزل

فأذنوا له فى ذلك

فاعتزل الأحنف بن قيس بالحلجاء ومعه ستة آلاف وهى من البصرة على فرسخين

* إن من الوفاء لله قتالهم

لما قدم أمير المؤمنين على بن أبى طالب البصرة أتاه أبو بحر فقال له :

ـ إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إذا ظهرت عليهم غدا قتلت رجالهم وسبيت نساءهم

قال أبو الحسن :

ـ ما مثلى يُخاف هذا منه ، وهل يحل هذا إلا لمن تولى وكفر وهم قوم مسلمون ؟

قال أبو بحر :

ـ اختر منى واحدة من اثنتين : إما أن أقاتل معك وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف ؟

فتساءل أمير المؤمنين على

فكيف بما أعطيت أصحابك ـ طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ـ من الاعتزال ؟

قال الأحنف بن قيس :

ـ إن من الوفاء لله قتالهم

قال أبو الحسن :

ـ فاكفف عنا عشرة آلاف سيف

فرجع أبو بحر إلى الناس فدعاهم إلى القعود ونادى :

ـ يا آل خندف

فأجابه ناس

ونادى :

ـ يا آل تميم

فأجابه ناس

ثم نادى :

ـ يا آل سعد

فلم يبق سعدى إلا أجابه

فاعتزل بهم

ونظر الأحنف بن قيس ما يصنع الناس

فلما كان القتال يوم الجمل وظفر أمير المؤمنين على

obeikandl.com

دخلوا فيما دخل فيه الناس وافرين

* يوم التحكيم

تقول أم بحر :

لما أمر عمرو بن العاص أهل الشام أن يرفعوا المصاحف بالرماح عندما رأى أمر أمير المؤمنين على قد اشتد وخاف هو ومعاوية الهلاك وقالوا :

ـ هذا حكم كتاب الله عز وجل

فكان التحكيم

واختار أهل العراق أبا موسى الأشعرى واختار معاوية عمرو بن العاص

جاء الأحنف بن قيس أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقال له :

ـ يا أمير المؤمنين : إنك قد رميت بحجر إلى الأرض وإنى قد عجنت أبا موسى الأشعرى وحلبت أشطره فوجدته كليل الشفرة قريب القعر ، وإنه لا يصلح لهؤلاء القوم ـ معاوية وعمرو وأهل الشام ـ إلا رجل يدنو منهم حتى يصير فى أكفهم ويبعد حتى يصير بمنزلة النجم منهم ، فإن أبيت أن تجعلنى حكما ـ بدلا من أبى موسى ـ فاجعلنى ثانيا أو ثالثا فإنه لن يعقد عقدة الا حللتها ، ولا يحل عقدة لك إلا عقدت أخرى منها

وأبى أهل العراق وأصحاب أمير المؤمنين على إلا أبا موسى الأشعرى والرضا بحكم كتاب الله

فقال أبو بحر :

ـ إن أبيتم إلا أبا موسى فأدفئوا ظهره بالرجال ـ اجعلوا حوله رجالا يشدون من أزره ـ فلم يلق أهل العراق إلى قول أبى بحر التفاتا

وخدع عمرو بن العاص أبا موسى فبعد أن اتفقا على خلع على ومعاوية ليختار المسلمون ما يختارون دفع عمرو بن العاص أبا موسى إلى المنبر فصعد وأعلن عن خلع

قال الأحنف :

يا أمير المؤمنين : ثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء

أمير المؤمنين على ثم نزل فصعد أبو موسى الأشعرى المنبر مرة أخرى وقال:

ـ إنما أنزع صاحبى كما أنزع هذا الخاتم .

جهدهم ، ولا تكن عليهم ثقيلا فيملوا حياتك ، ويحبوا وفاتك

فقال معاوية :

لله أنت يا أحنف لقد دخلت على وأنا مملوء غضبا على يزيد فسللته من قلبى

فلما خرج الأحنف من عند أمير المؤمنين معاوية بعث إلى ابنه يزيد بمائتى ألف درهم ومائتى ثوب فبعث يزيد إلى أبى بحر مائة ألف درهم ومائة ثوب .

openkandl.com